الأعمدة

الحمام البارد

لبدة الكبرى وتضم آثاراً وحضارات عريقة بـ «ليبيا»

من أبرز مدن الشمال الإفريقي في عصر الإمبراطورية الرومانية

لبدة الكبرى مدينة من مدن الشمال الأفريقي الكبرى السابقة، وتقع على الساحل المتوسطي عند مصب وادي لبده الذي يكون مرفأ طبيعيا على بعد 3 كيلومترات شرقي مدينة الخمس، التي تبعد 120 كم شرق مدينة «طرابلس عاصمة ليبيا، المدينة كانت من ابرز مدن الشمال الإفريقي في عصر الإمبراطورية الرومانية. المدينة تعتبر مصنفة من قبل اليونسكو ضمن قائمة مواقع التراث العالمي في ليبيا وذلك منذ العام 1982.

تاسيس المدينة

كانت منطقة لبدة موطنا لجماعات بشرية في عصور ما قبل التاريخ كما تدل على ذلك بعض حجارة وجدت على ضفاف وادي الرملة، وقد ظهرت مدينة لبده كمرفا طبيعي يلجا إليه البحارة والتجار الكنعانيون «الفينيقيون» اثناء رحلاتهم التجارية النشطة في المتوسط. الفينيقيون اسسوا مدينة ليبتيس ماغنا «لبدة» «واسمها الصحيح لقلي» في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، سميت باللاتيني «لبكيس». وهذا التاريخ يقرب من تاريخ إنشاء قرطاجنة «قرطاج». وكان المؤسسون آنذاك مدينة صور الفينيقية من عبدة الإله ملك عشتارت وإله الكون أرص ومن هذه الكلمة الأخيرة خرجت كلمة «ارض» - وهي نفس عبادات صور، ولم يكن هذان الإلهان يُعبدان من قبل في ليبيا. حتى في المدن الليبية الأخرى مثل أويا وصبراتة. لم يكن الأهالي يعبدون هذين الإلهين وهذا يدل على أن صوريي لبدة حملوا من مدينة صور آلهتهم التي لم تكن تعبد حتى في لبدة الكبرى. وسرعان ما تما ذلك المرفا التجاري ليصبح أحد أحواض البحر المتوسط المهمة حيث احتوى لاحقا على منارة لبدة التي انشاها الإمبراطور الروماني سبتيموس سيفيروس حوالي العام 200 قبل الميلاد، والآن لبدة تُعد من أجمل المناطق الأثرية في منطقة البحر المتوسط، كما أنها من أكبر بقايا المدن الرومانية في العالم.

اصل التسمية

كانت المدينة معروفة عند القرطاجيين باسم «لبكي» ، وقد حرفها اليونانيون إلى «لبتس»، وبقيت هذه الكلمة مستعملة إلى القرن الثالث ق م، ثم حرفت في اللغة اليونانية من «لبتس» إلى «لبتس» لسهولة النطق في اللغة اليونانية بكلمة «لبتس» عن «ليبتس»، وبما أن «لبتس» اسم مدينة في «بيزاشيتا» خافوا أن يحصل التباس بين المدينتين ، فاضافوا إلى لبتس الأفريقية كلمة «مانيا» ، فصارت «لبتس مانيا» ومعناها لبدة العظمى ، أو لبدة الكبرى.وان ال ابو لبدة من عهد اليونان وهم ينتمون الى الامبراطور الروماني ومنهم من يعيش في إسرائيل وفي رومانيا وفي اليونان باسم لقادا اي بولبدة ويوجد كثير من هذة العائلة لا نعرف بعضها ولا يوجد أي صلة قرابة.

تداخل الأعمدة والأقواس

تاريخ المدينة

استطاع الفينيقيون أن يعمروا البلاد بسرعة نظرا لخصوبة أرضها، واعتدال مناخها وصلاحيته للسكنى، ولأن لها ميناء مامونا وصالحا للملاحة ولوقوعها على نهر عين كعام، الذي يقع شرقيها بقليل. ومما زاد في سرعة عمرانها العلاقات الطيبة التي نشات بين السكان والفينيقيين نتيجة لحسن معاملتهم لهم. وذكر هيرودوت واقعة كبيرة عند مصب «كنبس» وادي كعام. وقد اعتراها الانحطاط في اواخر القرن السادس ق م. وفي هذا الوقت حاولت مجموعة من الإغريق بقيادة الأمير الإسبرطي دوريوس، ، كون الإغريق آنذاك تركزو أساسا في برقة، أن تنشيء مستعمرة عند مصب نهر «كنبس» نهر عين كعام، منتهزة ما اعترى لبدة من التاخر وانحطاط، وقد تم لها ما أرادت. خاف القرطاجنين تسرب النفوذ الإغريقي غربي سرت فلم يلبثوا أن هاجموها وخربوا مستعمرتها وطردوا الإغريق واستولوا على لبدة وما حولها، وأعادوا إليها ما فقدت من عمرانها وحضارتها، وتوطد ملك القرطاجنين فيما بين السرت الكبير والسرت الصغير، وأطلق على هذه المنطقة اسم «أمبوريا». وصارت جزءا من أملاك قرطاجة. وبقيت لبدة المركز الرئيسي للمنطقة فيما بين السرتين، وتتمتع باستقلال داخلي. وبقيت تحت حكم القرطاجنين إلى أوائل القرن الثاني قبل الميلاد.

في أوائل القرن الثاني قبل الميلاد أصبحت تابعة للنوميديين في الفترة ما بين الحربين القرطاجنتين الثانية سنة 218 ، والثالثة سنة 149 ق م. وكانت تبعيتها للنوميديين شكلية؛ لأنها كانت مقصورة على دفع الجزية. وفي سنة 111 ق م، أرسلت وفدا إلى روما طالبة صداقتها والتحالف معها للتخلص من حكم النوميديين، وفي سنة 107 ق م أمدتها روما بأربع كتائب من الجنود لمحاربة النوميديين. ويظهر أنها لم يمكنها التغلب عليهم، وبقيت تحت سيادتهم الاسمية متمتعة باستقلالها الداخلي إلى أن احتلها الروم سنة 42 ق م ، وانتهى حكم النوميديين.

ويدخول لبدة تحت الروم صارت جزءا من افريقية الرومانية، هذا بالنسبة للسواحل ، أما الدواخل فبقيت تحت سلطة حاكم من نوميديا حتى أوائل القرن الثالث م، حيث اقيم خط دفاع ضد سكان الجنوب وسموه «ليمس تريبوليتانوس». وقد تعرضت لبدة لغارات الجرمنتيين فيما بين سنتي 24 و 17 ق م، واستعانوا بقبائل اخرى من الجنوب، وذلك بسبب نزاع قام بينها وبين أويا «طرابلس الآن» بسبب اختطاف الماشية، والتعدي على بعض الأشخاص، فاستنجدت «أويا» بالجرمنتيين وبعض قبائل الجنوب، فخفوا لنجدتها، وهاجموا لبدة فتغلبوا عليها وخربوا ضواحيها، واضطر السكان إلى الاحتماء باسوار المدينة حتى ادركهم «فالبريوفيستو» بجيشه وطرد الجرمنتيين، واعاد إلى المدينة طمانينتها وما فقدته من اهمية كانت تتمتع بها كمحطة للقوافل، التي كانت تصل ساحل البحر المتوسط بالجنوب والسودان.

وفي سنة 146م ، ظهر في لبدة «ستيميو سيفير» وهو من إحدى الأسر الكريمة فيها، فتولى عرشها وعنى بشؤونها، ونشر فيها العلم والأمن، وامعن في مطاردة المعتدين عليها من قبائل الجنوب حتى اقصاهم عنها، وعني برقيها الداخلي، فوفر لها سبل الحياة الصالحة بما انشا فيها من وسائل العمران والتقدم. وتقدير الأعمال هذا الرجل المصلح واعترافا بإخلاصه اطلق السكان على انفسهم اسم «الستيميين» تيمنا باسم ستيميو، واشتهروا بذلك.

الإمبراطور سبتيموس سيفيروس

في القرن الثالث الميلادي ، زمن الإمبراطور سبتيموس سيفيروس Septimius Severus ، من سنة 193 إلى 211م ، وزمن الكسندر سيفيروس من سنة 222 إلى سنة 235م ، بلغت لبدة مبلغا عظيما في الحضارة والتقدم العمراني ، وفي هذا العصر كان سكانها خليطا من الليبيين والقرطاجنيين والروم والإغريق، وبلغ عددهم ثمانين الفا. وكانت اويا «طرابلس» في هذا العهد لم تبلغ شوا يمكنها من مزاحمة لبدة في النفوذ والسلطان. وفي القرن الرابع اصدر دقيانوس امره باعطاء اويا لقب ولاية، وكانت لبدة لها الصدارة، فاخذت اويا تزاحمها في صدراتها ومكانتها. وفيما بين سنتي 363 ، 366 من القرن الرابع م ، اعتدى الاستريانون على ولاية لبدة فالحقوا بها اضرارا بالغة، وخصوصا بالمدينة حتى ساءت أحوالها واخذت في الانحطاط حتى طمع فيها الوندال. وفي سنة 455 م ، احتلها الوندال وقاموا بخرابها، لم يعنوا بها وتركوها للفوضى، وامتدت إليها يد النهب والسلب من القبائل البربرية المقيمة في المدينة وحولها، واكبرها قبيلة لواتة. وفي هذه الفترة اصيبت بفيضان كبير من وادي عين كعام فحطم الجسور والأسوار، وكان له اسوا الاثر في شل الأيدي العاملة، وتسرب اليأس إلى النفوس من القدرة على الإصلاح. فاهمل شانها ، وزحفت الرمال عليها، ودبت روح التمرد في القبائل القاطنة حولها. ولم تات سنة 533م حتى حولت هذه القبائل الفوضوية المدينة إلى خراب ، وطمع البيزنطيون في احتلالها.

وفي سنة 533 م، احتل البيزنطيون لبدة، وكان احتلالهم لها بداية عهد جديد لعمرانها واسترداد بعض ما فقدت من حضارتها واتخذت مقرا للحاكم العسكري، وقد أصلح جوستنيان كثيرا مما امتدت إليه أيدي الفساد في العهد الذي قبله. وأدخل عليها الروم من فنون العمارة والزخرفة ما زاد في ضخامتها وجمالها.

وبعد جوستنيان أخذت البلاد في الانحطاط، والسير إلى الخراب بخطى واسعة. وفي سنة 643م ، وصلت إليها طلائع العرب الأولى للفتح الإسلامي، فلم تجد في لبدة من العمران إلا بقايا من قصورها العظيمة ودورها الفخمة، وإلا بقايا من السكان خليطا من اجناس متعددة يعيشون فيما بقي من خرائب دورها وقصورها.

عظمة المدينة

يتميز موقع المدينة بقربها من مناطق زراعية مهمة مثل مرتفعات الحسان الثلاث «ترهونة ونهر السنيس ووادي كعام». وللتدليل على مدى ثرائها وغناها، أن الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر انزل بها عقوبة لمساندتها لخصمه بومبي الذي هزمه سنة 48 ق. م، بلغت ثلاثة ملايين رطل من زيت الزيتون سنويا. وعلى الرغم من تلك الجزية الفجة فقد ازدهرت مدينة لبده لتبلغ شانا كبيرا في القرن الثاني الميلادي خاصة عندما اعتلى عرش الإمبراطورية الرومانية أحد ابنائها سبتيموس سيفيروس «193 م- 211 م» الذي امتد حكم عائلته للإمبراطورية إلى سنة 235 م. وأثناء هذه الفترة شهدت مدينة لبده أكبر توسعاتها، حيث شيدت الساحة السويرية والايوان السويري «البزيلكة» والشارع المعمد وتبع الحوريات وقوس النصر لسبتيموس سويروس ومنارة لبدة.

إن الميدان القديم وأطلال المعابد المحيطة به والمجاور للميناء، هو مركز المدينة قبل اتساعها في ولاية العهد الروماني، وفي هذه الأماكن تتتبع نمو المدينة واتساعها بالوقوف على التواريخ المتتالية التي اقيمت فيها المباني العامة الفخمة كمبنى السوق اليونيقية «انشئ في عام 8 ق. م» والمسرح نصف الدائري «في السنة الأولى قبل الميلاد» ومبنى الكالكيديكوم في سنة «11م- 12م» ثم توالى إنشاء المباني الأخرى خلال القرن الأول والثاني الميلاديين، التي من بينها حمامات الإمبراطور هادريان «أقيمت بين عامي 126م- 127م» وجددت في عهد الإمبراطور سبتيموس سويروس.

اكتشافات جديدة

قام فريق من الأثريين التابعين لجامعة هامبورغ الألمانية باستكشاف منطقة لبدة واعلنوا في شهر يونيو 2006 عن اكتشاف أرضية من الموزاييك طولها 30 قدم تعود إلى الفترة بين القرن الأول والثاني ميلادي. هذه القطع تبين محارب في معركة مع غزال و4 رجال يصارعون ثور بري على الأرض، ومصارع يسترخي على الأرض في حالة اعياء. هذه القطعة الجميلة تزيين حمام في فيلا رومانية. وهي معروضة حاليا بمتحف لبدة.

زخرفة الأعمدة بتماثيل بديعة

صخور كانت تجلب للبناء

مسرح لبدة الكبرى

أحد التماثيل الرومانية

مركز السوق في المدينة